

أرسل الفونسو السادس الرسل إلى حاكم مدينة طليطلة المأمون بن ذي النون يأمره بدفع الجزية ضعف مقدار ما كان يدفعه سابقاً واستمر على ذلك حتى توفي وتسلم الحكم حفيده (يحيى بن ذي النون) فكانت تؤخذ هذه الأموال لتسليح جيش الممالك الإسبانية فقام الفونسو السادس حملة عسكرية بمحاصرة طليطلة لتسعة أشهر ولم يستطع دخولها لحصانتها وطبيعتها الجغرافية المحاطة بالجبال والنهر مما ضعف حاكم طليطلة، بل اتصل حاكم إشبيلية (المعتمد بن عباد) بالفونسو السادس وأبلغه بتقديم تعهد بعدم التعرض له إذا استولى على طليطلة وتعهده بدفع الجزية وعدم مهاجمة جيش الفونسو السادس من الطرف الجنوبي لمدينة طليطلة.

فأرسل حفيد يحيى بن ذي النون (القادر) رسالة استسلام بتعويضه بأرض بديلة عنها فعين على مدينة (بلنسية) وتم تسليم مفاتيح أبواب طليطلة إلى الفونسو السادس في عام (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) الذي قام بتحويل المسجد الكبير إلى كنيسة، رغم ذلك بقيت الهيمنة الإسلامية تسيطر على المدينة من خلال المكاتب باللغة العربية والبناء العربي الإسلامي وظلت المدينة أنموذجاً للتعايش السلمي .

أبرز سمات عصر ملوك الطوائف هي :

- ١- انهيار الوحدة الوطنية وتحول الأندلس إلى كيانات صغيرة تسمى بدول الطوائف على أساس مبدأ الوراثة ويحدث في بعض الأحيان نزاع داخل الأسرة الواحدة على الحكم .
- ٢- حكم الأندلس عددٌ من الملوك في وقت وعصر واحد وخلال حقبة تاريخية واحدة وهذا نادرٌ في التاريخ .
- ٣- تلقب ملوك الطوائف بألقاب فخمة وبراقة ذات معانٍ سياسية ودينية وعسكرية وهي في حقيقتها لا تعبر عن تلك الشخصية سواء كان بالأعمال أو الأفعال فالغاية منها تمجيد شخص الحاكم مثل المعتمد بالله، والمستعين بالله، والمأمون، وعماد الدولة .
- ٤- تنافس ملوك الطوائف بالاستحواذ على عدد من المدن الأندلسية نتيجة طمعهم فكانوا يتقاتلون في ما بينهم لامتلاك أكبر مساحة من تلك الأراضي الأندلسية كما طمع ملك إشبيلية المعتمد بن عباد بمدينة قرطبة .
- ٥- تقرب ملوك الطوائف إلى الممالك الإسبانية والتودد إليهم لمساعدتهم في قتال بعضهم على بعض وعقد المحالفات التي أصبحت تشكل خطراً لأن فيها التنازل عن الأراضي أو دفع الأموال .
- ٦- كان تفكير ملوك الطوائف ينحصر بالعمل للمصالح الذاتية فقط وعدم الاهتمام بالمصالح الجماعية كالأندلس أو قضية الأمة والانتماء لها .

-ظهور جوانب إيجابية مشرقة على الرغم من التمزق السياسي والنزاعات الداخلية ، منها:

- أ- ظهور دعاة إلى توحيد الأندلس وملوكها مثل (ابن حزم الأندلسي) و(أبو الوليد الباجي) وغيرهم .
- ب- تشجيع ورعاية ملوك الطوائف للعلماء والفقهاء والأدباء والشعراء حتى أصبحت قصورهم منتديات علمية وأدبية مثل ملوك بني إشبيلية.
- ج- بناء القصور والقلاع والحصون الدفاعية وازدهار الحركة العمرانية التي ما زالت شامخة حتى الآن مثل قصر بني عباد في إشبيلية .
- د- تطور نظام الفروسية والقتال وصناعة الأسلحة لأن الأندلس كانت ضعيفة مقسمة إلى ممالك وممزقة سياسياً فأيقظت الأحداث أهل الأندلس من سباتهم.